تعالَ وانظر، ٢٠٠١
جورج ن. نحاس

مقدمة

عنوان هذا الكتاب مأخوذ من الإنجيل: "تعال وانظر" (يوحنا ١:٤٦). هذه دعوة أطلقها فيليبس لنثنائيل حتى يرى هذا الأخير أعمال الرب فيؤمن.

أما مختلف فصول الكتاب فقد نُشِرت تباعًا في مجلّة النور منذ خريف ١٩٩٨ كسلسلة مقالات تحت عنوان عام هو "المأسسة في الكنيسة".

رُبَّ سائل عن علاقة عنوان الكتاب بعنوان السلسلة! هنا تَكْمن الإشكالية التي قادتني إلى كتابة ما كتبت. فالكنيسة جسد المسيح ملقاة في الدنيا اليوم تمامًا كما خرج السيد إلى العالم من بطن مريم. وكلٌّ منا أخذ على عاتقه، منذ أن ماتَ للرب في جرن المعمودية وقام معه من هذا الماء وحمل مواهب الروح، أن يدعو كفيليبس: تعال وأنظر! لأنه صار هو أيضًا تلميذًا ليسوع.

لكن ماذا سيرى نثنائيل هذا القرن؟ أين تجلّيات السيّد من خلال عروسه اليوم والآن وهنا؟ أخذت على عاتقي، مع إيماني العميق بقدسية الكنيسة، أن أسْأل بصدق عن مواقع الضعف التي تحجب هذه القدسية بسبب من "مَأسَسَةٍ" هي تأثير الفكر الدنيوي على حياة الكنيسة في العالم. حسبي أن الأمانة تقتضي الصدق، والصدق يُبْنى على المعرفة، والمعرفة وليدة الواقعية. فلو تبيّن للبعض أن تشخيصي للواقعية وقح فهذا عيب فيّ واستميحهم عذرًا. لكن ولهذا السبب أيضًا، جاء كثير من الصياغة بشكل أسئلة لتفتح للقارئ مجال التساؤل إن أراد ذلك، فيلج إلى الحقيقة ويشهد لها نتيجة معاناة في العمق. في اعتقادي أن جلّ ما يشكّل خطرًا على وصول الشهادة المسيحية إلى عالم متعطّشٍ لهويةٍ تناسبه، هو المتحفية التي حَلّت في تعاطينا الكنسي محلّ الأصالة.

وكلمة "مأسسة" التي سترد كثيرًا في النصّ، مستعملة بمضمون سلبي لأنها غير الترتيب والتنظيم وإيجاد أطر تعامل وتواصل وتكامل. المأسسة في النص هي في إعطاء الأولوية للشكل على حساب الجوهر، وفي التوقف عن مساءلة الشكل، وفي عبادته كصنم غير قابل للتبدل والتغيير وحتى للإلغاء إن كان هذا يخدم الشهادة للسيّد.

لم أشأ في هذه السلسلة من المقالات أن أدخل في كل التفاصيل التي تفترضها معالجة كل وجه من وجوه المأسسة التي أتطرق إليها. لكنني اكتفيت أن أطرح على ضميري أولاً، وضمير المؤمنين كافة ثانيًا، أمورًا أعتقدها شائكة تطال كافة أوجه حياتنا في المسيح، وهي:

١ - الحياة التعبّدية في فصلين: الصلاة والصوم

٢ - الحياة التقديسية في فصلين: الأعياد (عيد الميلاد نموذجًا)، الأسرار (الزواج نموذجًا)

٣ - الحياة "في" الكنيسة في فصلين: الخدمة والمال

٤ - الشأن التربوي في فصل واحد حول التنشئة في المسيح.

أخيرًا سمحت لنفسي في خاتمة لهذا الكتاب أن أطرح سُبُل معالجة وأفكار عملية حول حياة الكنيسة وبنيان جسد المسيح وإقامة المؤمنين في حضرة الله الدائمة لتكون مجال مداولة ونقاش وقبول أو رفض، علّنا نخرج من رتابة هي أشبه بالموت. فالقيامة، التي نُعَيِّد لها في الكنيسة المستقيمة الرأي، ليست فقط في الفصح بل كل يوم وخاصة في الآحاد، هي تحدٍ مستمرٌ لما من شأنه أن يجعلنا نستريح لشكلٍ مهما سمى، ويعيقنا عن المساهمة في "*جعل كل شيء جديدًا*" (رؤيا يوحنا ٢١:٥) كوارثين حقيقيين للجالس على العرش.